إسرائيل ولفنسون (أبو ذوئيب)

مؤرخ اليهود فى " العصور الإسلامية "
رؤية نقدية تحليلية لكتاب
" تاريخ اليهود فى بلاد العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام "

دكتـورة
صفى على محمد عبد الله
مدرس بقسم التاريخ – كلية البنات
جامعة عين شمس

درج معظم المؤلفون والكتاب من غير المسلمين على بث الكثير من الأفكار والتفسيرات المعكوسة طى مؤلفاتهم ، وخاصة تلك التى تتناول الفترة الأولى من تاريخ الدولة العربية الإسلامية . وسوف نعرض لنموذج من هؤلاء الذين تصدوا للبحث والدراسة فى موضوعات مختلفة من تاريخ تلك الفترة ، وذلك وصولاً لما ينبغى من الحقائق فيها ، مع مراعاة التقدير لوجهة النظر الأخرى .

المؤلف ، وإطلالة تاريخية :

نظراً لأن قيمة المعلومات التى يوردها ترتبط كل الارتباط بشخصية المؤلف، ومدى فهمه للحوادث وبكل الظروف التى تحيط به ، وكذا غرض المؤلف والمعنى الحقيقى لما كتبه " وهى مبدأ هام لنقد الأصول " [1] . لذا أصبح من الضرورى التعريف بالكاتب والظروف المحيطة به للتوضيح الإطار الفكرى للمؤلف وأثر كل ذلك على مؤلفاته .

تنتمى أسرة المؤلف إلى أصول ألمانية " أبوه الجد (الحاخام) ولفينزاهم – من الجيل الخامس للجد إبراهيم الذى كان من رجال الحلم الصهيونى الذين قدموا إلى فلسطين 1809 م ، وعين (متحدثاً) لجالية اليهود الغربيين " الاشكناز[2] التى أسست فى ضَفَد " [1] .

---

(1) د. حسن عثمان : منهج البحث التاريخى ، الطبعة الرابعة ، دار المعارف بمصر 1964 ، ص 82 .

(2) الأشكناز أو الأشكنازيم بالعبرية Asknezim هم يهود شرق أوربا (روسيا وبولندا) وأشكناز هو أحد أحفاد نوح ، ثم اتسعت دلالة المصطلح (اشكناز) بحيث أصبح يتضمن كل يهود الغرب بما فى ذلك يهود الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وإنجلترا وهولندا [د. عبد الوهاب المسيرى : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ، القاهرة ، مركز الدراسات الاستراتيجية بالأهرام 1975 م ، ص 76 ، 77 .

ولد إسرائيل ولفنسون بن زئيف Wolfensohn فى القدس (أورشليم) 22 يوليو (تموز – 1899) وفى مستهل حياته تعلم تعليماً دينياً يهودياً تقليدياً ، فدرس تلمود [2] التوراة – وتخرج من (دار المعلمين التابعة لشركة (عِذْره) البرلينية ، وفى الفترة [1919 – 1921 م] درس فى دار المعلمين العرب فى القدس ، وبرع فى اللغة العربية وآدابها ، ثم أتى مصر 1922 م ودرس فى جامعة القاهرة حتى حصل على الدكتوراة عن [تاريخ اليهود فى بلاد العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام] [3].

قدم له أستاذه د. طه حسين فى صدر مؤلفه المشار إليه ، معدداً سجاياه ومنوهاً إلى تميزه العلمى وولعه بكل ما يتعلق بالتاريخ والتراث اليهودى[4] .

---

(1)

(2) التلمود : كتاب فقهى يضم شريعة اليهود ، ويعتقد طائفة من اليهود أنه كتاب مقدس لا يقل قدسية عن العهد القديم (التوراة) [محمد بحر : اليهودية، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة 1978م ، ص 99] وتمتد فترة تأليف التلمود أكثر من الألف عام ، وينقسم التلمود إلى المشنا وتعنى (المعرفة) وهى عبارة عن المتن ، والجمارا ومعناها (الإكمال) وهى شرح المشنا ، أما المدراش فهى مجموعة ضخمة من تفسيرات الأحبار للتوراة ، وهى الكتب الخمسة الأولى من كتب العهد القديم [نورشيف عبد الرحيم رفعت : دراسات فى مقارنة الأديان ، المطبعة الإسلامية الحديثة بالقاهرة 1997 ، ص 101 ، 152] .

(3) ء

(4) جاء فى مقدمة الكتاب المشار إليه ما نصه [إسرائيل ولفنسون أقبل إلى مصر ، وكانت له ثقافة متنوعة ، أتقن العديد من اللغات الأوربية الحية ، وكذا اللغات السامية، ودرس قدراً من آدابها – انتسب إلى الجامعة المصرية القديمة ، فأظهر عناية خاصة بكل ما يتصل باليهود ، وهو من الداعين إلى ضرورة الاهتمام بالتاريخ اليهودى وتنمية الثقافة اليهودية – وبعد حصوله على درجة الليسانس فى الآداب ، استكمل دراساته العليا

صار للمؤلف مكانة بارزة على الساحة اليهودية حيث أستأثرت الثقافة اليهودية والفكر اليهودى باهتمامات المؤلف ، وانصبت مؤلفاته على معالجة موضوعات مختلفة عن تاريخ اليهود فى العصور الإسلامية [1] .

من أبرز آثار المؤلف العلمية :

- تاريخ اللغات السامية بالعربية فى 250 صفحة ، القاهرة 1930 م .
- موسى بن ميمون ، حياته ومصنفاته بالعربية ، مقدمة للشيخ مصطفىعبد الرازق ، القاهرة 1937 م .
- كعب الأحبار بالألمانية .
- قدَّم كتاب المصائد والمطارد لأبى الفتح كشاجم [2] ، بمجلة المجمع العلمى العربى بدمشق [3] ، وتغلب على كتاباته التأثر العنصرى ، الاعتماد على الكتب السماوية فى الجزء الأول من كتاباته[1] .

فى مجال اهتمامه ، ولم يرق له من المباحث إلا المبحث الذى يتصل دائماً باليهود [إسرائيل ولفنسون : تاريخ اليهود فى بلاد العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام، لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة 1927م، مقدمة د. طه حسين .

(1) جاء فى التصدير الذى كتبه إسرائيل ولفنسون فى الكتاب الذى أفرده عن موسى بن ميمون ما نصه [كنت معتزماً منذ أن وجهت عنايتى للكتابة فى تأريخ اليهود فى العصور الإسلامية أن أفرد موسى بن ميمون بمؤلف خاص كى تكون سلسلة بحوثى فى هذا الموضوع متدرجة تدرجاً تاريخياً يساير الزمن ويتابع الحوادث] . انظر د. إسرائيل ولفنسون : موسى بن ميمون ، حياته ومصنفاته ، الطبعة الأولى ، لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة 1936 .

(2) المصائد والطرائد هى فى الأصل مخطوطة نادرة بخط أبى الفتح محمود ، أهداها 1926 م مصطفى أتاتورك هدية للأمير عبد الله بن الحسين الهاشمى حاكم الأردن حينذاك الذى أوكل مهمة تحقيقها 1939 م إلى د. إسرائيل بن زئيب .

(3)

عمل مدرساً للغات السامية بدار العلوم ، ثم بالجامعة المصرية [2] ، وكان عضواً بارزاً " بجمعية الأبحاث التاريخية الإسرائيلية بالقاهرة ، والتى تأسست 1925 م وهى الجمعية التى أنشأتها الطائفة الإسرائيلية بهدف إحياء التراث التاريخى اليهودى وتبناها الحاخام الأكبر [حاييم نحوم] ، ويوسف قطاوى " رئيس الجالية اليهودية بالقاهرة " وشارك فى أعمال الجمعية وعقد المحاضرات عدد من اليهود المصريين أمثال ؛ مراد كامل ، وصامويل جويتين ، وعمل " إسرائيل بن زئيف " سكرتيراً متطوعاً لها [3] ، وأصدرت الجمعية [لسان حال اليهود] مجلة تاريخ الإسرائيليين فى مصر [4] 1947 م . حينما تأسس النادى العبرى " 1927م صار " إسرائيل ولفنسون " عضواً أساسياً فيه ، وهو النادى الذى أُعِد من أجل تربية يهودية وقومية ليهود مصر[5] .

توجه " بن زئيف " إلى ألمانيا " حيث مسقط رأس الأسرة " وذلك ليتم دراسته عن الشرق الأوسط فى جامعة برلين وفرانكفورت ، وحصل فى أواخر 1932 م على لقب " دكتوراه " أخرى مكافأة لكتابه عن [اليهود والديانة اليهودية فى كتب السيرة الإسلامية] والذى نشر فى حينه فى ألمانيا من جامعة فرانكفورت . وفى أثناء وجوده فى ألمانيا ألّف بالألمانية كتاباً عن [معاناة اليهود

---

(1) نجيب العقيقى: المستشرقون، الطبعة الثالثة، دار المعارف بمصر 1965م ، جـ2 ص 762.

(2) كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربى ، نقله إلى العربية د. عبد الحليم النجار ، دار المعارف بمصر 1959 م ، جـ 1 ص 34 .

(3)

(4) شاهين مكاريوس : مجلة تاريخ الإسرائليين فى مصر ، جمعية الأبحاث التاريخية الإسرائيلية المصرية ، طباعة المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية ، 1947 .

(5)

فى صدر الإسلام] [1] . وبعد عودته من ألمانيا عين مدرساً للغات السامية بدار العلوم ، ثم بالجامعة المصرية[2] .

استمر المؤلف فى نشر أبحاث عديدة عن تاريخ الأدب العربى ، وعن حياة (واقع) اليهود فى البلاد العربية وفى مصر .

فى أثناء إسرائيل ولفنسون فى مصر قام بتصوير جميع الآثار اليهودية فى القاهرة والفسطاط والمحلة ورشيد والإسكندرية بهدف إصدار أرشيف عن اليهود فى مصر (بالإنجليزية) لدار نشر عبرية فى فيلادلفيا – وكان يتضمن شهادات (تقارير) عن المعابد اليهودية ، والمقابر والأزياء اليهودية ، ويتضمن أيضاً المحادثات بين الربانيين والقراءين [3] ، وهى دراسة جغرافية تاريخية غنية جداً عن تاريخ اليهود فى مصر [4] . وهى المعروفة بوثائق الجنيزا [5] . وفى 1938 م عاد إلى فلسطين وكُلِّف من قبل المؤسسات

---

(1)

(2) كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربى ، جـ 1 ص 34 .

(3) اليهود [الربانيون] هم غالبية اليهود وهم يؤمنون بالعهد القديم كله والمشنا والتلمود أما [القراءون] فهم الذين يؤمنون بالمقرأ فقط ، أى العهد القديم المشتمل على التوراة والأنبياء والكتب . أى أنهم جعلوا المرجع الأول والأخير فى الدين هو النص المكتوب بالمقرأ ، ولذا فأتباعها يسمون القرائين ، وقد عاش القراءون فى الشرق وانكمش عددهم ، ولم يستطيعوا مطاولة الربانيين عدداً ولا فى مستواهم المادى والفكرى . د. حسن ظاظا : الفكر الدينى الإسرائيلى أطواره ومذاهبه، معهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة1971، ص 295–306.

(4)

(5) الجنيزا : مقبرة للكتب والوثائق تقابل ما نسميه الأرشيفق ، إما لدفن كتب جيدة لحفظها من الضرر أو كتب رديئة لمنع ضررها – إما لحمايتها أو التخلص منها حسب أهميتها ووضعها فى التراث الدينى اليهودى . واستخدمت كمخزن لإيداع العقود الشرعية والوثائق

اليهودية العليا لوضع برنامج لتحسين اللغة العربية فى المدارس الدينية التابعة للكنيس الإسرائيلية .

اشتغل إسرائيل ولفنسون بالتدريس بالجامعة العبرية بعد افتتاحها، وفى 1943 م عمل مفتشاً للغة العربية فى المدارس ، وقام بتنظيم دورات لتأهيل معلمى اللغة العربية [1] .

لم تقتصر جهود المؤلف على النشاط الثقافى ، فقد اشترك فى تأسيس بعض الجمعيات والمنتديات التى جمعت أبناء ملته ، وكان يحث على ضرورة الاهتمام بالشخصيات اليهودية ودورها المؤثر على جميع الأصعدة ، فقد أسس 1939 م مع الحبر داود يلين وإبراهيم مزراحى وآخرين [رابطة أبناء الوطن] التى أقيمت لتوحيد أبناء الوطن دون تفرقة بين الجاليات ، وللحفاظ على ذكرى الأولين وما قدموه ، ولتخليد أفعالهم ، وفى أشهر قليلة انضم الآلاف من أبناء أورشليم لهذه الحركة ؛ وكان لهذه الجمعية أثر بالغ فى زيادة المتطوعين للكتائب اليهودية (الإسرائيلية) وتكوّن منهم الفيلق العسكرى الأول الذى شارك

الرسمية والخطابات الشخصية والحسابات التجارية ، والأحكام القضائية دون تنسيق أو ترتيب تغطى فترة زمنية كبيرة تصل إلى أربعة قرون تقريباً [من القرن العاشر الميلادى إلى القرن الثالث عشر الميلادى] فهى مصدر أساسى للعصرين الفاطمى والأيوبى ثم إلى نهاية القرن 19 الميلادى [د. محمد خليفة حسن ، النبوى سراج : الجنيزا والمعابد اليهودية فى مصر ، الدراسات الدينية والتاريخية (العدد 91) ، مركز الدراسات الشرقية ، جامعة القاهرة 1999م، ص 11 ، 12 ، 25 .

(1)

كان تعليم اليهود اللغة العربية ؛ إحدى الوسائل التى لجأت إليها الوكالة اليهودية ، وذلك حتى يكون هؤلاء اليهود على علم بأحوال العرب [د. سهام نصار : اليهود المصريون صحفهم ومجلاتهم 1877–1950م ، العربى للنشر والتوزيع .

بالفعل فى الحرب العالمية الثانية ضد النازية مع الجيش البريطانى . وفى مطلع 1940 م أسس بمساعده د. ميخائيل ريفلين وآخرين فرع الوحدة (الرابطة) فى تل أبيب [1] .

إسرائيل والفنون فى مرآة العصر :

تبين من خلال السيرة الذاتية للمؤلف أن فترة تكوينه العلمى الجاد كانت على الأرض المصرية ، حيث وضع أهم مؤلفاته رغم خصوصيتها الشديدة . ويرجع ذلك إلى المناخ السياسى العام الذى ساد مصر فى بدايات القرن المنصرم ، فقد أشارت الأحداث التى تناولت الحياة الاجتماعية والموقف العام لليهود فى مصر فى مطلع القرن العشرين بأن هؤلاء اليهود سواء كانوا مصريين بحكم الإقامة الممتدة ، أو مهاجرين قدموا إلى مصر ، عاشوا فيها متآلفين كجزء مع باقى النسيج الاجتماعى المصرى ، وأن الموقف الرسمى المصرى الذى حددته دساتير 1923 ، 1930 م لم تفرض أية قيود أو أنظمة معينة عليهم ، والأمر كذل فى قوانين المطبوعات ولوائحها فى كافة التشريعات الحكومية ، وأن هذا استمر منذ عصر محمد على وتدعم فى تعاقب أسرته على الحكم [2] .

---

(1)

وميخائيل ريفلين أحد العلماء الذين ترجموا معانى القرآن الكريم إلى اللغة العبرية .

(2) د. رؤوف عباس حامد : تاريخ مصر المعاصر ، دار النهضة العربية بالقاهرة ، ص 163؛ محمود سعيد عبد الظاهر: يهود مصر، دراسة فى الموقف السياسى 1867 – 1948 م ، مركز الدراسات الشرقية بالقاهرة – سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية العدد 17 سنة 2000م ، ص 24 ، 40 .

امتدت علاقات اليهود بعد ذلك لتشمل القوى السياسية المؤثرة على الساحة وقوى المثقفين الذين يؤثرون بأقلامهم وآرائهم فى بناء الرأى العام ، فقد زار أحمد لطفى السيد فلسطين لحضور افتتاح الجامعة العبرية 1925 م [1] وعلى المستوى الثقافى حقق يهود مصر ازدهاراً ملحوظاً ممائلاً للازدهار الذى تحقق لهم خلال العصر الإسلامى ، جاء التحرك اليهودى بإصدار سيل من الصحف الناطقة باسم الطائفة اليهودية بلغات مختلفة مثل جريدة الشمس [2] التى عنيت بنشر التراث اليهودى ، وكان لإسرائيل ولفنسون العديد من المقالات فيها ، بالإضافة إلى مساهمته بنشر العديد من المقالات فى صحف ومجلات ذات ثقل مثل المقطم والأهرام والرسالة ، وفى صحف ومجلات شهرية وأسبوعية مختلفة مثل الكليم[3] وكلها تدور فى ذات الإطار العام للفكر اليهودى [إحياء التاريخ اليهودى، وإبراز الدور الريادى لهم على مر العصور التاريخية وإبراز الاضطهادات التى تعرضوا لها] [4]. وفى العدد الأول من جريد الشمس بعث إسرائيل ولفنسون إلى رئيس تحريرها (سعد يعقوب مالكى) برسالة نشرها بالجريدة جاء فيها [... لقد سرنى ما رأيت فيكم من العزيمة على نشر جريدة تكون لسان الشعب اليهودى بالديار المصرية ... إنه عمل جرئ سيؤدى إلى انقلاب فى الحياة الاجتماعية والأدبية اليهودية ، ليس فى مصر فحسب ، بل فى الأقطار الشرقية الإسلامية التى فيها جماعات وطوائف من بنى إسرائيل]

---

(1) د. سهام نصار : اليهود المصريين بين المصرية والصهيونية ، العربى للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ص 40 .

(2) صدرت جريدة الشمس بين أعوام 1934 ، 1948 م .

(3)

(4) د. سهام نصار : اليهود المصريون ، صحفهم ومجلاتهم ، (1877 – 1950 م) العربى للنشر والتوزيع (د. ت.) ، ص 28 .

[1] . وعلى أثر صدور " الكليم " بعث إسرائيل ولفنسون من القدس برسالة إلى مراد ليتو رئيس تحرير المجلة أعرب فيها عن سروره البالغ لصدورها كصحيفة تنطق بلسان القراءين بمصر ، وأعرب عن أمله فى أن تكون " الكليم " قنطرة الاتصال بين طائفتى : القرائين والربانيين حتى يعملا معاً على إحياء مجد اليهود الغابر " [2] .

وفى إطار إحياء التراث التاريخى اليهودى – شارك المؤلف فى احتفال الطائفة بالمئوية الثامنة للمفكر اليهودى [موسى بن ميمون] [3] والتى أقيمت

---

(1) الشمس / 4 سبتمبر 1934 م .

(2) الكليم فى 1945/4/1 م .

(3) موسى بن ميمون : من أسرة عريقة يرجع نسبها إلى يهودا أهناسى " جامع أسفار المشنا ، د. إسرائيل ولفنسون : موسى بن ميمون ، حياته ومصنفاته ، الطبعة الأولى ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة 1936 م ص 2 . ويطلق عليه العرب أبى عمران موسى ابن ميمون عبيد الله ، ويسميه اليهود Rabbi – الحبر أو الحاخام .. ولد فى قرطبة 530 هـ واستقر بمصر 563 هـ بمحلة المصيصة بفسطاط مصر بجوار القاهرة حيث كان بها دار رئيس الطائفة وبعض كنائس اليهود وتولى رئاسته طائفة اليهود 583هـ / 1185 م فى عهد صلاح الدين الأيوبى وظل فى مركزه حتى وفاته 1204 م وترك كثير من الأعمال التى تتناول الموضوعات الطبية والرياضية والدينية والفلسفية – القفطى : إخبار العلماء بأخبار الحكماء ، مكتبة المتنبى بالقاهرة ، ص 209 ، 210 ؛ من أبرز أعماله [كتاب تثنية التوراة تكرار الشريعة – ودلالة الحائرين – [القفطى : إخبار العلماء بأخبار الحكماء ، ص 210] – وهذا العلامة له أتباع فى أنحاء العالم ويعرفون بجماعة (حبّاد) أى مجموعة محبو الحكمة [د. محمد خليفة حسن ، النبوى سراج : الجنيزة والمعابد اليهودية فى مصر ورقة رقم (93) ضمن مستخرجات جنيزة حوش موصيرى البساتين ، ص 181 ، 183 .

تحت رعاية الملك فاروق وفى تلك المناسبة أفرد المؤلف كتاباً تذكارياً عن حياة " الحبر " ومؤلفاته[1] .

هكذا أشارت الأحداث ، أنه خلال النصف الأول من القرن العشرين كان لليهود نشاط فكرى ملحوظ مدفوعين برغبة محمومة لتحقيق مآربهم التى كانت تسير وفق مخطط مدروس لإيقاظ الوعى القومى اليهودى، بل أخذوا فى البحث والدراسة لتأكيد دورهم وتعزيز وجودهم فى العالم العربى فى أحقاب التاريخ المختلفة استناداً إلى " دورهم التاريخى فى تلك الأماكن وخاصة منطقة الشرق الأدنى " [2] .

النشاط الاستشراقى والمردود الثقافى :

بينما كان النشاط الثقافى اليهودى قائماً على قدم وساق ، لتأكيد الهوية ، ظهر فى المقابل نشاط استشراقى صوَّب أصحابه أقلامهم للنيل من الإسلام ، وصارت أزمة ضارية استهدفت التاريخ الإسلامى ، وكان قوامها المستشرقون المبشرون [فأخذوا يستخدمو الإسلام فى الطعن عليه أداة للتبشير ويختارون من الأشياء التى تثير الأوربيين على المسلمين ، وجاء من بعدهم المستشرقون غير المبشرين ، فسلكوا مسلكهم واحتذوا حذوهم ، ولم يسلكوا مسلك البحث النزيه المجرد ، بل كانوا يضعون الاتهام أولاً ثم يبحثون عن الأدلة التى تقوى هذا الاتهام ، فيما عدا القليل [3] " ، وإبان تلك الأزمة ؛ خلت الساحة من

---

(1)

(2) الحركة الصهيونية ، طبيعتها وعلاقتها بالتراث الدينى اليهودى ، دار الثقافة العربية ، القاهرة ، 2002 م ، ص 171 ، 172 .

(3) أحمد أمين : يوم الإسلام ، القاهرة 1958 م ص 113 .

المفكرين المسلمين المستنيرين الذين يملكون الحجة لدحض الاتهامات ، وازداد الإحساس بأن الحضارة الإسلامية تواجه أزمة فى تلك الفترة ، وأنها تحتاج إلى إعادة قراءة تاريخها على أساس نقدى لتأكيد الهوية فى مواجهة الهجوم من الخارج [1] .

حينما بدأت يقظة الشرق العربى خلال العشرينات من القرن الماضى ، ظهرت رغبة جادة بين (مثقفى وأدباء مصر) فى إعادة التواصل مع الموروث الحضارى ، وكان للدكتور طه حسين الفضل فى إحياء تاريخ صدر الإسلام بنظرات نافذة مقدماً كنوزاً للتراث الإسلامى ، فقد دعا طه حسين فى ثلاثينات القرن الماضى إلى مشروع إعادة كتابة التاريخ الإسلامى على نحو يتقبله الإنسان المعاصر الذى انصرف عنه بأقلام أصحابه القدماء وذلك منذ فجر الإسلام إلى عصر الدولة الأموية (صدر الإسلام) حيث اتفق الرواد الثلاثة [د. طه حسين – أحمد أمين – عبد الحميد العبادى] على إعادة كتابة التاريخ الإسلامى بصورة تجلى غوامضه ، لأن تناولها وطريقة كتابتها قديماً قد أخفى الكثير من معالم عظمتها .

دخلت الموضوعات الدينية الصرفة (الإسلامية) دائرة اهتمام د. طه حسين، وشارك فى الموجة بكتابه [على هامش السيرة] بالرغم من أنه خضع لنقد شديد فى تناوله لسيرة الرسول ﷺ " وكان اتجاهه للتاريخ الإسلامى منسجماً مع معادلة النهضة ، أى أن الإسلام كان عنصراً أصيلاً فى رؤية د. طه حسين ورفاقه للتطور واتخذوا أدوات منهجية أقرب إلى العقلانية فى معالجة

---

(1) د. قاسم عبده قاسم : تطور منهج البحث فى الدراسات التاريخية ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية ، الطبعة الأولى ، القاهرة 2000 م ص 138 .

المادة التاريخية [التبسيط والتحليل والمقارنة] أى إخضاع المادة التاريخية لقوانين العقل والمنطق " [1].

وكان لمؤلفات (د. محمد حسين هيكل) أثرها البارز فى تأصيل التواصل مع الموروث الحضارى ، وانفراده فى مؤلفاته بتنقية ما علق بسيرة الرسول ﷺ من افتراءات المستشرقين من خلال أعمال موثقة ، هكذا كانت الحياة الثقافية قد بدأت تموج بتيارات فكرية متباينة ، أفرزت أعمالاً جليلة لإثراء الحضارة بصفة عامة .

شهدت تلك الفترة المشار إليها ظهور [إسرائيل (بن زئيف) ولفنسون مؤرخاً لليهود فى العصور الإسلامية [2] ، وكانت دراسته لـ [تاريخ اليهود فى بلاد العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام] باكورة نشاطه الفكرى ، مما سنعرض له بالنقد فى الصفحات التالية .

موضوع الكتاب :

يتضمن الموضوع الذى تعرض له المؤلف أخبار جماعات اليهود فى إطار التاريخ العام لشبه الجزيرة العربية، فى فترتين متناقضتين (الجاهليةوصدر الإسلام)؛ من التشتت والنزاع إلى الفترة التى شهدت " نشأة الدولة العربية الإسلامية " .

وقعت أحداث تاريخ صدر الإسلام فى البيئة الاجتماعية التى عاش فيها بدو شبه الجزيرة العربية ، وفى نفس الوقت كانت هناك حضارة قديمة مستقرة

---

(1) د. أحمد زكريا الشلق : مستقبل الثقافة فى مصر لطه حسين ، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية ، جامعة قطر ، العدد الثالث عشر 1990 م ص 154 .

(2) إسرائيل ولفنسون : موسى بن ميمون ، حياته ومصنفاته ، مقدمة المؤلف .

فى الركن الجنوبى الغربى من شبه الجزيرة العربية ، أثرت فى أحيان كثيرة فى الخلفية الاجتماعية للجزيرة العربية[1] .

لاشك أن تاريخ اليهود فى الفترة موضع دراسة المؤلف ؛ لا يعنى فى حقيقته تاريخاً خاصاً باليهود ، لكنه تضمن الجوانب الخاصة بالعلاقة بين جماعات اليهود والقبائل العربية التى عاشت تلك الجماعات اليهودية بين ظهرانيها .

وسوف نعرض لوجهة نظر المؤلف فيما أثاره من قضايا وآراء عن الموضوع الذى عرض له ، كما تتضمن الرؤية النقدية الجوانب الإيجابية من تأصيل لثوابت قد تنصف الحقيقة التاريخية[2] ، وكذا الجوانب السلبية للموضوع من تشويه وافترتءات ومحاولة الرد عليها .

تحدثت فيما سبق عن المؤلف ، حياته وفكره ومؤلفاته ، التى تعكس اتجاهاته فى البحث والنقد والتأويل .

القسم الثانى يخص المصادر الرئيسية ، حيث اعتمد الباحث فى الفترة المبكرة من كتاباته على الكتب المقدسة [3] (التوراة والتلمود) وكذلك أعمال المستشرقين ، مما كان له أبلغ الأثر فى تشكيل فكره ومنهجه بشكل عام ، حيث وضح التأثر العنصرى على كتاباته[4] مع الأخذ فى الاعتبار رأى المؤلف

---

(1) الندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ شبه الجزيرة العربية ، مصادر تاريخ شبه الجزيرة – مطبوعات جامعة الرياض 1977 . المقدمة .

(2) الحقائق التاريخية لا يمكن تغييرها [آيات القرآن الكريم] ولكن يمكن لكل جيل ولكل باحث أن ينظر إليها بمنظاره الخاص .

(3) كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربى ، جـ 1 ص 34 .

(4) نجيب العفيفى : المستشرقون ، جـ 2 ص 762 .

فى منهج المؤرخين المسلمين الذين نظر إليهم المؤلف نظرة ذاتية غير موضوعية[1] .

يشتمل القسم الثالث على دراسة تحليلية نقدية للكتاب وفقاً لموضوعاته الرئيسية ، وذلك متابعة لخطة الكاتب فى تقسيم موضوعات الكتاب .

وأخيراً تأتى الخاتمة بإبراز النتائج التى توصلنا إليها ، مع إجمال ما فصَّلناه سابقاً .

كتاب " تاريخ اليهود فى بلاد العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام " :

يشمل الكتاب ؛ تصدير للمؤلف متبوعاً بتسعة أبواب ، وفى تقسيمه العام يقسم تاريخ وجود بنى إسرائيل فى بلاد العرب إلى طورين أساسيين : الطور الأول ؛ ويشمل حوادث بطون إسرائيلية بائدة فى بلاد العرب ، ويقف هذا الطور عند نهاية القرن الخامس قبل الميلاد ، ويتحدث فيه المؤلف عن تاريخ بنى إسرائيل ، فى بلاد العرب وأوائل الهجرات الإسرائيلية إلى بلاد العرب [2] ، التى بدأت ببطون شمعون [3] ، ثم يعود ويشكك فيها معللاً ذلك بطبيعة بلاد العرب الصحراوية التى لم تكن عامل جذب ، والواقع أن الفترة التى دخل فيها اليهود إلى بلاد الحجاز قد أثارت كثيراً من التساؤلات بين الباحثين ، وخاصة المؤرخين اليهود ، هل هم عرب متهودين أو يهود من الأسباط أم نتاج زواج

---

(1) إسرائيل ولفنسون : تاريخ اليهود فى بلاد العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام ، ص 13 .

(2) إسرائيل ولفنسون : المرجع السابق ص 3 ، 4 . يذكر المؤلف أن الهجرة الشمعونية تعود إلى القرن الثانى عشر ق. م.

(3) إسرائيل ولفنسون : المرجع السابق ص 4 .

مختلط بين الطرفين [1] ، ويرجع ذلك إلى عدم وجود مصادر وثيقة ترجح أحد الآراء عن الآخر .

اعتمد المؤلف على مصدر أحادى للتأريخ للوجود اليهودى فى تلك الفترة [القرن الخامس ق. م.] وهو [كتاب العهد القديم] وكذلك على ما كتبه بعض المحدثين من المستشرقين الذين وقفوا بين مؤيد ومعارض للمعلومات المستقاة [من العهد القديم] فبينما حاول (دوزى) أن يثبت أن الهجرة الشمعونية حدثت قبل عصر الملك داود حوالى 1000 ق. م. إلا أن (مارجليوث) يرجعها لعام 690/717 ق. م. [2] ، ويرجع هذا الاختلاف إلى أن المعلومات المستقاة من العهد القديم قد تعرضت لكثير من أوجه النقد ، مما أفقدها الكثير من مصداقيتها .

يذكر د. نجيب ميخائيل : " أن كل أقاصيص التوراة ليس لها ظل من الحقيقة ، وإنما هى روايات سجلها يهود الأسر البابلى [586 – 539 ق. م.] بعد حدوثها بعدة قرون ، ولعل بعد الشقة ما بين وقوع الأحداث وتسجيلها ما يشفع فى هذا الخلط " [3] ، ولعل ذلك ما جعل الباحث لا يطمئن إلى الأخبار التى نصت عليها [صحف العهد القديم] عن وصول جموع إسرائيلية إلى الجزيرة العربية ، فأدخلها فى دائرة [الحدس والتخمين] [4] كما أن [التوراة لم

---

(1) د. زبيدة عطا : اليهود فى العالم العربى ، دراسات تاريخية فى قضايا الهوية – الاندماج – القدس ، عين للدراسات والبحوث الاجتماعية والإنسانية ، الطبعة الأولى ، الجزء الأول ، 2003 م ، ص 58 .

(2) د. زبيدة عطا : المرجع السابق ، ص 58 .

(3) د. نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم ، دار المعارف ، الإسكندرية ، 1963 م ، جـ 3 ص 322 .

(4) إسرائيل ولفنسون : تاريخ اليهود فى بلاد العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام ، ص 8 .

تحدد التسلسل الزمنى عند عرضها للحوادث التاريخية ، ولم تنسق الحوادث بحسب أدوارها وأزمانها] [1] .

وبينما كان الطور الأول من وجود بنى إسرائيل فى شبه الجزيرة يعتمد على الحدس والتخمين ؛ صار الطور الثانى أكثر وضوحاً وهو الذى يتناول " أخباراً لجموع من اليهود كان لها شأن عظيم فى تاريخ الجزيرة العربي وينتهى بإجلاء عمر بن الخطاب آخر الطوائف اليهودية من البلاد[2] .

يذكر المؤلف معتمداً على المستشرقين " أن جموعاً كثيرة من اليهود فى القرن الأول والثانى بعد الميلاد أخذت تهاجر إلى الأرجاء العربية عموماً وإلى الربوع الحجازية بنوع خاص ، ويتفق إسرائيل ولفنسون ومعظم المؤرخين الذين تعرضوا فى كتاباتهم لأخبار اليهود ؛ على أن معظم يهود بلاد العرب إنما هم من يهود فلسطين ، وأنهم تركوها فيما بين عامى (70 – 135 م) [3] وهم

---

(1) أحمد سوسة : العرب واليهود فى التاريخ ، حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الآثارية ، وزارة الإعلام ، مديرية الثقافة العامة ، سلسلة الكتب الحديثة ، العدد (41) ، دار الحرية للطباعة والنشر 1972 ، ص 183 .

(2) إسرائيل ولفنسون : تاريخ اليهود فى بلاد العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام ، ص 45 .

(3) الأصفهانى : كتاب الأغانى جـ 16 ص 95 ؛ جواد على : المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ، دار العلم للملايين جـ 2 ، بيروت 1977 م ، جـ 6 ص 513 ؛ فيليب حتى : تاريخ العرب (مطول) جـ 1 ، ص 375 ، 377 . إسرائيل ولفنسون : تاريخ اليهود فى بلاد العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام ، ص 10 ، 51 ، 52 ؛ يشير د. محمد بيومى مهران معتمداً على الوثائق وكتابات المستشرقين إلى الأحداث التى أدت إلى تلك الهجرات فيذكر أنه : " فى عهد نيرون بدأت ثورة اليهود فى أورشليم 66 – 70 م ، وأمر فسباسيان ابنه تيتوس بمحو آثار اليهود من المدينة المقدسة فأحرق الهيكل ومنع اليهود من دخول المدينة فهاجرت جموعهم واستقرت أعداد كبيرة منهم فى شمال الحجاز ثم ثارت البقية الباقية من اليهود أيام هدريان فيما بين عامى 132 – 135 م وانتهت إلى القضاء تماماً على اليهود ككيان سياسى فى فلسطين فوصل فريق إلى يثرب

الذين كونوا الجالية اليهودية فى شمال الحجاز ، وفى يثرب بصفة خاصة وزاد عددهم – وهناك بضع أعداد من العرب تهودوا لأسباب مختلفة [1] .

الخلاصة :

أن هلاء اليهود ؛ سواء كانوا عرباً متهودة أو نازحون أو نتيجة زواج مختلط مع العرب ، فقد وجد فى شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام ما عرَّفه المؤرخون [بالمستقرات اليهودية] والتى تمركزت بصورة واضحة فى شمال الحجاز – " خط الواحات فى طريق القوافل من الشمال إلى الجنوب ، تيماء ، فدك ، خيبر ، وادى القرى ويثرب ... [2] .

ويقدم د. المسيرى رؤية لتجربة الأقليات اليهودية التاريخية فيقترح ثلاث إصطلاحات لمسيرتها :

1 – التاريخ المقدس (العهد القديم) وهى عبارة عن قصص دينية لا يمكن إثباتها بالعودة للتاريخ ذاته .

2 – تاريخ العبرانيين أو اليسرائيليين ؛ وهو التاريخ الواقعى أو الإنسانى ويعود إلى 1200 ق. م. والذى انتهى بخراب الهيكل على يد الإمبراطور الرومانى تيتوس وعلى إثره بدأت الأقليات اليهودية فى الظهور فى أنحاء العالم .

3 – تواريخ الأقليات اليهودية ؛ بعد أن نشأت تجمعات يهودية فى أماكن متفرقة من العالم داخل بنيات تاريخية – " والتاريخ اليهودى فى كتابات مؤرخى

إلى جانب من وصلوا بعد تدمير القدس على تيتوس [دراسات فى تاريخ العهد القديم، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، (د. ت.)، ص 358] .

(1) د. زبيدة عطا : اليهود فى العالم العربى ، ص 63 . وتضيف : " أن تحول جماعات كثيرة لليهودية يدل على القوى الاجتماعية السائدة ، والتى كانت تؤثر بها اليهودية فى العرب فى القرن الخامس الميلادى [ثراء اليهود – وجود دولة متهودة فى الجنوب] .

(2) د. زبيدة عطا : المرجع السابق ، ص 60 .

اليهود والصهاينة هو خلاصة تداخل تلك المستويات المشار إليها " [1] . وقد أشارت كتابات المؤرخين القدامى والمحدثون إلى صدق هذه الرؤية كما أوضحنا سالفاً .

من أبرز القضايا التى أثارها المؤلف قوله : " أن الاستعمار الجديد لم يؤد إلى طرد قبائل عربية أصلية من موطنها ، وأن اليهود قد استوطنوا جهات يثرب ووادى القرى ؛ لأنها غير آهلة بكثير من العرب " [2] .

وهذا الرأى يحمل فى طياته نتائج تهدف إلى تحقيق فكرة تأصيل الوجود اليهودى فى الحجاز ، ويعزز المؤلف رأيه فينتقى من نصوص المصادر القديمة ما يعزز رأيه فيذكر معتمداً على اليعقوبى [أن أغلب الطوائف اليهودية عرب تهودوا مثل بنى النضير وبنى قريظة ، والأقلية من العناصر اليهودية] [3] .

والحقيقة [أن آيات القرآن الكريم سواء فى توجيه الخطاب إلى يهود الحجاز فى معرض ذكرهم فى المواقف المتنوعة أم فى صدد بيان أحوالهم وأخلاقهم قد نسبتهم إلى إسرائيل دون استثناء وربطت بينهم وبين بنى إسرائيل الأولين من لدن موسى ، بل من لدن يعقوب الذى كان إسرائيل اسمه الثانى] [4] . فتوجيه الخطاب فى القرآن الكريم إلى يهود يثرب وبنى إسرائيل يسوغ الترجيح بل الجزم بأن اليهود الذين كانوا فى الحجاز بصفة عامة هم نازحون

---

(1) د. عبد الوهاب المسيرى : مجموعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ، ص 125 ، 126 .

(2) إسرائيل ولفنسون: تاريخ اليهود فى بلاد العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام، ص 10 – 12.

(3) اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، بيروت 1960 م ص 15 .

(4) محمد عزه دروزه : تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم وأحوال وأخلاق ومواقف اليهود فى عصر النبى ﷺ و وبيئته من القرآن الكريم ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت صيدا ، طبعة جديدة 1969 م ص 423 .

وأنهم إسرائيليون فى معظمهم ، والعرب المتهودين ولاسيما القبائل اليهودية المسماة بأسماء عربية أصيلة لها صلة بالوثنية [1] .

يبالغ المؤلف فى إظهار فضل الجماعات اليهودية وأثرها على تطور المكان [2] ، كما يشير إلى تطور الجماعات اليهودية ونموها بحيث اعتبرهم " أمة قائمة بذاتها " ويضيف معتمداً على آراء المستشرقين أن تلك الأمة " يصيبها من ضرورات الاجتماع ما يصيب غيرها ، ويحدث بينها وبين جيرانها العرب ما يحدث بين أية أمة أخرى ، وبين من يجاورها من الأمم [3] . ويتضح بعد عرض آراء المؤلف ؛ التى انصبت كلها فى صالح جماعات اليهود فى شبه الجزيرة العربية أنه يريد أن يضفى مزيداً من الأهمية ، بل ويؤكد حقيقة الوجود اليهودى فيخرجهم من الجماعات إلى الأمة رغم انتفاء مقوماتها عنهم فى تلك الفترة .

لا ينفصل المؤلف عن ذاته التى أفرغها حينما يتحدث عن تطور الجماعات اليهودية فى " طور التكوين " كما يسميه ؛ بل ينظر إلى العلاقة بين العرب واليهود نظرة عنصرية " مجرداً فيها العرب من كل ما يفخرون به فى مجال مساهمتهم الحضارية ، ومن كل صفة إنسانية " [4] . فيذكر [أن بطوناً كثيرة قد اختلطت بالعنصر اليهودى فى بلاد الحجاز وأثرت فى أخلاقه وعاداته تأثيراً ظاهراً ولكنها لم تستطع أن تتغلب على عقليته الأصلية ، بل بقى هذا

---

(1) محمد بيومى مهران : دراسات فى تاريخ العرب القديم ، دار المعرفة بالإسكندرية (د. ت) ص 454 .

(2) إسرائيل ولفنسون: المرجع السابق ، ص 10، 12.

(3) إسرائيل ولفنسون: تاريخ اليهود فى بلاد العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام، ص 11، 12.

(4) د. زبيدة عطا : اليهود فى العالم العربى ص ص 63 .

العنصر ممتازاً بعقليته امتيازاً ظاهراً " [1] . ثم يذكر نصاً نسبه إلى البلاذرى وفحواه أن [يهود يثرب كانوا أساتذة العرب فى تعلم الكتابة العربية] [2] يتضح من آراء المؤلف ما انطوت عليه نظرته العنصرية الدينية المتعصبة التى حكمت إلى حد كبير العلاقة بين العرب واليهود فوضع [اليهود فى قالب يحقق رؤيتهم لأنفسهم ودورهم فى العالم الذى رأوه دوراً تاريخياً ينفردون به ويتفرد بهم] [3] .

وجاءت نظرة المؤلف المنحازة وغير الموضوعية بالسلب على الطرف الآخر الأعم وهم (العرب) حيث جردهم المؤلف من تراثهم المادى والأدبى ونفى عنهم كل ما يتعلق بالمدنية من صفات . فيذكر ما نصه [أن الصفات المدنية زالت عن اليهود بعد استيطانهم بلاد العرب الصحراوية البعيدة عن الحركة العمرانية ، فوقعوا فى هوة الهمجية وأهملوا المحافظة على ديانتهم وصاروا مثل غيرهم من سكان الجزيرة المنعزلين عن العالم ...] [4] .

هكذا جاءت آراء المؤلف [حين عرض لأثر الجماعات اليهودية فى الحجاز] آراء فردية ، وضح فيها " إفراغ الذات اليهودية " من تعصب عنصرى ونظرة سلبية غير ديناميكية للعرب ، بل يرمى مؤرخى العرب القدامى بالتحيز

---

(1) إسرائيل ولفنسون : المرجع السابق ، ص 17 .

(2) إسرائيل ولفنسون : المرجع السابق ، ص 19 . لا يوجد نص للبلاذرى يحمل هذا المعنى ، ولكنه ذكر أن بعض اليهود كانوا متمكنين من الكتابة باللغة العربية .

(3) د. قاسم عبده قاسم : تطور منهج البحث فى الدراسات التاريخية ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية ، الطبعة الأولى ، القاهرة 2000 م ص 6 ، 7 .

(4) إسرائيل ولفنسون: تاريخ اليهود فى بلاد العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام، ص 16، 17.

وعدم الموضوعية [1] ، فلا يأخذ بآرائهم ، بينما ينظر أحد المؤرخين الحديثين نظرة موضوعية فى العلاقة بين (العرب واليهود) فحواها [أن اختلاف الدين بين أبناء المجتمع الواحد ليس مبرراً لادعاء الاستقلال الحضارى ، والتمايز الاجتماعى والثقافى ، بل إن الثقافة الفرعية للأقليات الدينية [جماعات اليهود] تصب عادة فى المجرى العام لثقافة المجتمع كله] [2] .

استكمالاً لمرحلة التكوين يأتى دور اللغة ، فبالرغم من أن المؤلف يشير إلى براعة اليهود فى (كتابة) اللغة العربية ؛ إلا أنه يذكر فى موضع آخر [أن لغة اليهود فى بلاد العرب كانت العربية المشوبة برطانة عبرية] ، ويضيف [أن اليهود لم يقطعوا صلتهم بلغتهم الأصلية] [3]. ويفسر أحد المستشرقين تلك الظاهرة فيذكر [أن العبرية اختفت كلغة حية ، وتبنى اليهود فى كل مكان لغات الشعوب المجاورة بلهجة جديدة ، حيث ترد بعض العبارات العبرية ، عبرية فارسية ، عبرية أسبانية ، عبرية عربية] [4] .

بعد حديثه عن مرحلة التكوين واستقرار الجماعات اليهودية فى بلاد الحجاز، يتحدث المؤلف : عن ظهور اليهودية فى بلاد اليمن ، فيذكر [أنها لم تعتمد على العصبية اليهودية كما كان شأنها فى البلاد الحجازية لأن الأغلبية المطلقة التى كونت أنصار هذا الدين الجديد فى اليمن كانت من سكان البلاد

---

(1) إسرائيل ولفنسون : المرجع السابق ، ص 17 .

(2) د. قاسم عبده قاسم : اليهود فى مصر من الفتح العربى حتى الغزو العثمانى ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، القاهرة 1986 م ص 7 .

(3) إسرائيل ولفنسون : المرجع السابق ، ص 17 .

(4) أحمد سوسة : العرب واليهود فى التاريخ ، ص 143 نقلاً عن ليون إبراهام ، المفهوم المادى للمسألة اليهودية .

الأصليين] [1] . تذكر د. زبيدة عطا نقلاً عن جوايتين فى كتابه " أرض سبأ " أن يهود اليمن من العصور الوسطى إلى العصر الحديث يشتركون مع اليمنيين فى نفس الجنس واللغة والعادات ولكن الاختلاف هو فى الدين فقط[2] .

أصبح لليهودية شأن كبير فى بلاد اليمن ، حين اعتنقها بعض ملوك حمير وذلك لمقاومة السياسة التبشيرية التى انتهجها الرومان تمهيداً للتسلط السياسى على البلاد ، وكان اعتناقهم لها " ليقاوموا ديناً سماوياً بدين سماوى آخر ، خاصة وأن المسيحية وقت ذاك استندت إلى قوة الدولة الرومانية الشرقية (البيزنطية) الطامعة فى غزو اليمن [3] وربطت سياسة الملك [ذى نواس الحميرى] بين انتشار المسيحية فى اليمن وازدياد نفوذ الأحباش ، فاتخذ من نصارى اليمن موقفاً عدائياً ، حيث قام بتعذيب نصارى نجران [أصحاب الأخدود] وكان ذلك ذريعة وجدها الرومان للقضاء على استقلال اليمن ، بتحريض الأحباش على غزوها ومن ثم نجاحهم فى القضاء على [ذى نواس] الملك الحميرى والاستيلاء على البلاد[4] .

فى الباب الثالث : " بطون يثرب وحوادثها وعلاقتها باليهود " يربط المؤلف بين ما آلت إليه أحداث اليمن ، والتى انتهت بسقوط الدولة الحميرية وانعكاسها على أوضاع يهود الحجاز ، فينظر إلى تطور الأحداث التاريخية من منظور دينى ويجعله المحرك لسير تلك الأحداث فيذكر [أن النكبة الشديدة

---

(1) إسرائيل ولفنسون : تاريخ اليهود فى بلاد العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام ، ص 35 .

(2) د. زبيدة عطا : اليهود فى العالم العربى ، جـ 1 ص 71 .

(3) د. عبد المجيد عابدين: بين الحبشة والعرب ، دار افكر العربى ، القاهرة 1967 ، ص 45.

(4) إسرائيل ولفنسون : المرجع السابق ، ص 36 ، 37 .

التى نزلت باليهود فى بلاد حمير قد أنتجت نتائج سيئة ، أهمها تحمس العناصر النصرانية التى كانت تعتمد على مؤازرة الدولة الرومانية ضد الديانة اليهودية ، وتحركها لهدم كيانها والقضاء على أصولها ومبادئها فى جميع أنحاء الجزيرة العربية ، وتهيج طمع القبائل العربية فى أموال اليهود ومستعمراتهم وقد كانت تلك القبائل وقت نمو اليهودية فى بلاد اليمن ... لا تجرؤ مطلقاً على أن تمس اليهود بأذى فى شمال الحجاز وما أعقبه من نشر لنفوذ اليهودية بين الأعراب حتى صاروا يدخلون فيها زرافات ، مما حمل بعض المستشرقين على الاعتقاد بظهور دولة يهودية امتد سلطانها السياسى حتى شمل شمال الحجاز بأجمعه ...] [1] .

وعلى أثر تلك الحوادث السالفة الذكر ، أخذت العلاقة بين اليهود وقبائل العرب من الأوس والخزرج [2] تتغير، وتفسير ذلك أن تلك القبائل قد أقامت إلى جانب اليهود فى يثرب رغم الاختلاف الاجتماعى بينهما ، حيث تركزت مصادر الثروة والسلطان فى أيدى اليهود الذين عقدوا حلفاً مع الأوس والخزرج

---

(1) إسرائيل ولفنسون: تاريخ اليهود فىبلاد العرب فىالجاهلية وصدر الإسلام، ص 50، 51.

(2) الأوس والخزرج قبائل يمنية هاجرت من اليمن على أثر اضطراب الأوضاع السياسية والاقتصادية وإهمال الزراعة وكساد التجارة وعدم الاهتمام بإصلاح " سد مأرب " وربما حدثت تلك الهجرة منذ بداية القرن الثالث الميلادى [ابن كثير : البداية والنهاية فى التاريخ ، الطبعة الأولى ، القاهرة 1932 ، جـ 2 ص 183 ؛ د. أحمد إبراهيم الشريف : مكة والمدينة فى الجاهلية وعهد الرسول ، القاهرة 1965 م ص 315 ؛ د. محمد بيومى مهران : دراسات فى تاريخ العرب القديم ص 458 ، 459 .

" يأمن بعضهم إلى بعض ويمتنعون ممن سواهم " [1] . وحدث أن تنامت أوضاع قبائل الأوس والخزرج بعد حين من الدهر فأصبحوا أصحاب مال وعدد ، فأحس اليهود بأنهم قد يشكلون خطراً يهدد مصالحهم ، ومن ثم تنمروا حتى قطعوا الحلف الذى بينهم ... " [2] . وتطورت الأحداث حتى كانت " غلبة الأوس والخزرج على يهود يثرب " رغم احتفاظ اليهود بمكانتهم ، وهكذا نرى أن العامل الاقتصادى كان الموجه لتلك الأحداث [3] على أن " إسرائيل ولفنسون " يحاول أن يربط هذه الأحداث التى كانت تجرى فى يثرب ، بالسياسة الدولية وقت ذاك فيذكر [أن الدولة البيزنطية المسيحية) إنما كانت وراء ذلك كله ، فقضت على المسيحية فى اليمن بعد حملة أبرهة المعروفة ، والتى أدت إلى جعل اليمن مستعمرة حبشية ، ثم دفعت بالغساسنة إلى التدخل فى شئون يثرب وتعضيد الأوس والخزرج ومناصرتهم ضد اليهود] [4]. بينما يرى د. أحمد إبراهيم الشريف " أن النزاع بين العرب (الأوس والخزرج) واليهود كان محلياً وأنه كان بسبب الظروف الاقتصادية فى يثرب " [5] . ويفسر " إسرائيل ولفنسون " تحول العلاقة بين اليهود وقبائل الأوس والخزرج تفسيراً دينياً " متأثراً

---

(1) ابن هشام : السيرة النبوية جـ 1 ص 17 – 19 ؛ اليعقوبى : التاريخ ، جـ 1 ص 203 ؛ ابن كثير : المصدر السابق جـ 1 ص 160 ؛ جواد على : المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ، بيروت 1968 ، جـ 4 ص 129 .

(2) السمهودى : وفاء الوفاء بأخبار المصطفى ، القاهرة 1326 هـ جـ 1 ص 126 ؛ د. أحمد إبراهيم الشريف : المرجع السابق ، ص 324 ، 325 .

(3) د. أحمد إبراهيم الشريف : المرجع السابق ، ص 332 .

(4) إسرائيل ولفنسون : تاريخ اليهود فى بلاد العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام ، ص 61 .

(5) د. أحمد إبراهيم الشريف : مكة والمدينة فى الجاهلية وعهد الرسول ، ص 332 .

بالرؤية الأحادية غير الجدلية ، وينظر إلى التاريخ من خلالها متجاهلاً تعين الوقائع التاريخية وقوانينها الخاصة " [1] ؛ يذكر المؤلف معتمداً على المستشرق Greatz ما نصه : [أن الأوس والخزرج لم يصارحوا اليهود بالعداوة والمعصية إلا بعد النكبة التى حلت باليهود فاليمن ، لأنه من غير المقبول (فيما يرى) أن يُضطهد اليهود فى الحجاز فى الوقت الذى كان فيه ملوك متهودة يسيطرون على اليمن ويتعصبون لدينهم ، ويناهضون كل من يناهضهم أو يعتدى عليهم] [2] .

والواقع كما تشير الأحداث أن الصراع بين اليهود والعرب فى يثرب لم يكن دينياً فقط وإنما كان صراعاً اقتصادياً فى الدرجة الأولى ثم اتخذ طابعاً سياسياً ، ولم تكن الإمبراطورية البيزنطية تعمل لقهر اليهودية كدين ، وإنما كان الغرض سياسياً بالإضافة إلى أن علاقة اليهود لم تكن سيئة ببلاد الشام حيث كان بعض اليهود يرسلون قوافلهم التجارية إلى بلاد الغساسنة" [3] وأهم ما تمخض عنه ذلك الصراع، هو ظهور الأوس والخرزج وأصبح لهما شأن وكيان سياسى فى يثرب إلى جانب اليهود وسرعان ما ثارت الحروب بين الأوس والخزرج والتى كان آخرها " حرب بُعاث " قبل الهجرة بخمس سنوات ، وظل اليهود محتفظين بمكانتهم بين القبائل العربية ...] [4] .

---

(1) د. عبد الوهاب المسيرى : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ، ص 116 .

(2) إسرائيل ولفنسون : تاريخ اليهود فى بلاد العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام ، ص 61 .

(3) ابن كثير : البداية والنهاية فى التاريخ ،الطبعة الأولى ، القاهرة 1932 م جـ 4 ص 137 ، 212 ؛ جواد على : المفصل جـ 4 ص 141 .

(4) السمهودى : وفاء الوفا جـ 1 ، ص 152 ، 155 .

بعد توازن القوى المؤثرة فى يثرب [اليهود والعرب] ؛ يخصص المؤلف الباب الرابع : للحديث عن أحوال العرب الاجتماعية والدينية والسياسية فى بلاد الحجاز قبيل ظهور الإسلام ، ويخص اليهود والديانة اليهودية بالحديث ، ويبالغ فى سرد الأدلة والبراهين التى تؤكد فضل اليهود وأهمية دورهم الفكرى والعقائدى فى تنظيم شئون الحياة فى بلاد الحجاز – ويتطرق إلى الدعوة الدينية اليهودية وأسباب عدم انتشارها بين العرب ، وانحسار أعداد اليهود معتمداً على أسفار العهد القديم وتعاليم التلمود ؛ فيذكر [أن النية لم تتوافر عند اليهود لنشر الدعوة الدينية بطريقة مباشرة ؛ لأن ذلك محظور من بعض الوجوه على اليهود ، كما أن التوراة والتلمود كلفا الإنسان بتكاليف صعبة وتقاليد لم يألفها العرب ، وأن اليهود يعتبرون أنفسهم " شعب الله المختار " [1] من بين شعوب الأرض ولا تسمح أنفسهم أن تكون هذه المميزات لشعب آخر ليس منهم] [2] .

أثارت النظرية التى أشار إليها المؤلف – والتى أصبحت من ثوابت تفكير المؤلفين اليهود – أثارت اهتمام المفكرين المهتمين بالدراسات اليهودية ، فاعتبروها أبرز السلبيات التى أدت إلى [تتوقع اليهودية على نفسها وعزلتها عن طريق تلك الأفكار] [3] بالإضافة إلى أن هذه الرؤية – الأحادية غير

---

(1) إسرائيل ولفنسون: تاريخ اليهود فى بلاد العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام، ص 73 ، 74. يذكر د. محمد عزة دروزة [أن تفضيل بنى إسرائيل محصوراً فى ظرف رسالة موسى وذريته ، كما أن عبارات القرآن الكريم ؛ ليست على التأييد وإنما هى خاصة بالزمن الذى وعدوا فيه بذلك [تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 1996 م ، ص 545] .

(2) إسرائيل ولفنسون : المرجع السابق ، ص 74 .

(3) د. محمد خليفة حسن : البعد الدينى للصراع العربى الإسرائيلى ، ص 12 ؛ د. عبد الوهاب المسيرى : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ص 273 ، 274 ؛ د. قاسم عبده قاسم : تطور منهج البحث فى الدراسات التاريخية ، ص 6 ؛ أمين مدنى :

الجدلية – تجاهلت تعيين الوقائع التاريخية وقوانينها الخاصة ، وهذا التجاهل للتاريخ الإنسانى أدى إلى عدم الثقة فى وجود منهج للبحث عن الحقيقة التاريخية ، وأصبح هدف المؤلفين اليهود [تأكيد فكرة أن الله قد اختارهم وتدخل فى أحداث التاريخ لصالحهم ، بغض النظر عن طاعتهم له أو تمردهم عليه] [1] وأصبحت المادة التاريخية المأخوذة من التوراة تخدم الديانة اليهودية وتؤكد على تميز اليهود عن الشعوب الأخرى ، وهذا الشعور بالتميز انتهى إلى التعامل العنصرى مع بقية البشر [2] ولاشك أن تلك المفاهيم انسحبت على نظرة المؤلف فى التمايز بين اليهود والعرب ، وهو منظور سلبى يقوم على أساس التعالى على الآخرين .

ورغم السلبيات الموجهة إلى تلك النظرة الفردية ، التى كانت تحكم إلى حد كبير العلاقات بين العرب واليهود ، والتى كانت قائمة على [العصبية الدينية] ؛ يسير المؤلف مع الاتجاه السائد بين مفكرى اليهود فى التأكيد على الصلات التاريخية والدموية بين العرب واليهود ، فيذكر المؤلف أنه عثر على نص من التوراة[3] يؤكد صدق تلك العلاقة وقد أثارت مسألة السامية (المرتبطة بالقرابة النسبية مع اليهود) وتبعاتها وعلاقتها بالهوية العديد من التساؤلات

العرب فى أحقاب التاريخ جـ 1 ص 39 ؛ د. حسن ظاظا : أبحاث فى الفكر اليهودى ص 189 .

(1) د. قاسم عبده قاسم : المرجع السابق ص 7 .

(2) يعقوب لاندو : تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية (1517 – 1914) ترجمة جمال الرفاعى ؛ أحمد عبد اللطيف حماد ، مراجعة محمد خليفة حسن ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة 2000 م ، ص 10 .

(3) جاء فى ترجمة النص التوراتى الذى أعاد المؤلف ترجمته عن العبرية ما نصه [... ونزلت بطون بنى إسماعيل مع نشأتها بين إخوتها واستوطنت البلاد من الحولة إلى طريق القوافل بيم مصر والعراق ...] إسرائيل ولفنسون : تاريخ اليهود فى بلاد العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام ، ص 76 .

حول صدق تلك العلاقة وتمسك المفكرين والكتاب اليهود بها رغم السلبيات الموجهة ضد العقيدة (التلمودية) ونظرتها إلى الآخرين ، يرى د. محمد عزة دروزه [ضرورة إهمال كلمة الشعوب السامية أو الساميين ، وتبديلها بكلمة " الشعوب العربية والعرب ، لأن هذه التسمية ملموسة الفهم ، بينما تلك – السامية – اصطلاح مبهم] [1] واصطلاح السامية يشير إلى نسب [2] وتسمية العربية هى أكثر تمشياً مع الواقع العلمى التاريخى لأن اسم العرب ورد منذ القديم فى الكتابات البابلية والآشورية ، ثم أطلقه الفرس والرومان منذ الألف الأولى قبل الميلاد] [3] .

وصفوة القول أنه " لا يمكن استخلاص نتائج عرقية أو عنصرية – ثبوتية – من حالة تاريخية معينة " [4] . ورغم أن المؤلف يذكر أن صلات النسب (القرابة) بين العرب واليهودى، أدت إلى التقارب بينهم فى اللغة

---

(1) د. محمد عزة دروزة : تاريخ الجنس العربى ، جـ 1 ص 18 .

(2) يذكر د. أحمد سوسة [أن تسمية السامية – أطلقت على الشعوب التى انحدرت من صلب سام وأول من أطلقها بهذا المعنى العالم النمساوى Schlitzer شلوتسر (1781 م) فشاعت وأصبحت عند علماء الغرب علماً لهذه المجموعة من الشعوب ، وسرت إلى المؤرخين العرب وباحثيهم بطريق الاقتباس والتقليد ، على الرغم أن هذه التسمية لا تستند إلى واقع تاريخى أو إلى أسس علمية عنصرية صريحة ...] العرب واليهود فى التاريخ ص 129 .

(3) د. جواد على : المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ، جـ 2 ص 287 ؛ د. أحمد سوسة: المرجع السابق ص 129 .

(4) محمد أركون : الاستشراق بين دعاته ومعارضيه ص 15 .

والأخلاق واتجاه الأفكار [1]؛ يعود وينكر دور القبائل العربية بقوله : " إن يثرب كانت تكاد تعتبر وطناً خالصاً لليهود " [2] .

يتحدث المؤلف بعد ذلك عن التمهيد لظهور الرسول ﷺ فيذكر أن أوضاع القبائل فى شبه الجزيرة العربية كانت مهيئة لقبول دعوة إصلاحية ، بعد أن ساءت الأوضاع ودب النزاع بين القبائل[3] .

يخالف المفكر الكبير (عباس العقاد) إسرائيل ولفنسون فيرجح أن النزاع بين القبائل كانت له أسبابه ، وإنما كان يجمعهم هدف أسمى يبدو واضحاً فى الطقوس الدينية ، وكذا رابطة الدم ، وأنه لو لم تكن للعرب وحدة معروفة بينهم قبل البعثة الإسلامية ، لما اعتزوا بالبيت الجامع لهم هذا الاعتزاز] [4] .

لا ينفصل المؤلف عن ذاتيته المفرطة من خلال عرضه لإرهاصات ظهور الرسول ﷺ حاملاً للكتاب وداعياً لما فيه فيذكر : [أنه لو ظهر يهودى ذو عاطفة ربانية قوية ودعا العرب إلى الدخول فى دين جديد يشبه اليهودية فى جوهره ، ويبقى عربياً فى تقاليده وروحه لكانت دعوته وجدت آذاناً صاغية] [5] . هكذا نرى المؤلف ينظر إلى تطور الأحداث التاريخية بنظرة أحادية دينية مغلفة بالعصبية ، ينكر فيها دور المؤثرات الإصلاحية التى قام بها بعض أبناء

---

(1) إسرائيل ولفنسون: تاريخ اليهود فى بلاد العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام ، ص 85 .

(2) إسرائيل ولفنسون : المرجع السابق ، ص 85 .

(3) إسرائيل ولفنسون : المرجع السابق ، ص 85 .

(4) عباس محمود العقاد: طوالع البعثة المحمدية، دار النهضةالمصرية، القاهرة 1977، ص65.

(5) إسرائيل ولفنسون : تاريخ اليهود فى بلاد العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام ، ص 90 .

القبائل العربية المنتشرة فى قلب شبه الجزيرة العربية وأعنى بذلك الحنيفية أو (الحنفاء) التى كانت أقرب إلى العقيدة التوحيدية ، التى أخذ أتباعها يتنافسون فى التقوى والتسامى الخلقى ، وقد شكلوا تياراً قوياً قبل ظهور الإسلام بفترة وجيزة[1] ، لعله كان يعبر عن روح العروبة ،وقد ظهرت حركة التحنف قبل الإسلام مباشرة وتشير بعض المصادر إلى أن الرسول ﷺ كان يستمع فى سوق عكاظ إلى – قس بن ساعدة الأيادى الذى مات قبل البعثة بقليل وإلى زهير بن أبى سلمى[2] .

بعد عرض المؤلف للقضايا التى أثارها والتى دارت فى أغلب الأحوال حول الأرض ، الدين والتاريخ ؛ يتحدث عن مكة ويثرب إزاء الحركة الإسلامية ، وقد جاء حديثه متأثراً بكتابات المستشرقين مؤكداً على التأثر بتعاليم اليهودية ومتعللاً بأن السور القرآنية فى الدور الأول لا تخلوا واحدة من الإشارة إلى ما فى التوراة والتلميح إلى مواضعها وذكر شئ من تاريخ بنى إسرائيل[3] .

استمرت دعوة الرسول ﷺ وخرجت من دور المناقشات بينه وبين أهل مكة. إلى الفتور والاضطهاد، وأعقب ذلك هجرة الجماعة الإسلامية الناشئة إلى الحبشة، ورغم أن هدف الرسول ﷺ من تلك الهجرة ، حرصه على توافر أسباب

---

(1) ثريا منقوش : التوحيديمان ، التوحيد فى تطوره التاريخى ، دار الطليعة ، بيروت 1977 م ص 159 .

(2) الألوسى : بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب ، القاهرة 1924 م ، 1925 م ، جـ 2 ص244 ؛ الشهرستانى : الملل والنّحِل ، بيروت 1317 هـ ، جـ 1 ، ص 96 ؛ محمد نعمان الجارم: أديان العرب فى الجاهلية، الطبعة الأولى ، مطبعة السعادة بالقاهرة ، 1923م، ص 163 ، 193 – 199 .

(3) ابن هشام : السيرة النبوية ، جـ1 ص 292 ؛ إسرائيل ولفنسون : المرجع السابق ، ص 98.

الأمان للمهاجرين الأوائل لتلك البلاد إلا أن المؤلف يذكر [أن عاملاً سياسياً هو الذى كان السبب فى الهجرة] وهو أن الأمة الحبشية كانت تطمع منذ أجيال قديمة فى فتح الأقاليم العربية وكان ملوك الحبشة يراقبون أحوال الجزيرة مراقبة شديدة ويتحينون الفرص لتنفيذ مطامعهم الاستعمارية ، من أجل ذلك بالغ النجاشى فى الاحتفاء باللاجئين من مكة أملاً فى أن يتمكن بمساعدتهم من التدخل فى شئون مكة الداخلية] [1] ، ويمكن الرد على المؤلف من خلال استقراء أحداث العصر ، والتى تشير إلى أن الجماعة الإسلامية المهاجرة كانت من المستضعفين فى بلدهم وافتقدوا إلى المساندة من ذويهم ، فلا يمكنهم مساعدة النجاشى فى الدخول إلى مكة ؛ كما أنه كانت هناك تجربة سابقة لأبرهة الحبشى حينما أراد أن يدخل مكة ليهدم الكعبة حيث فشل فى تحقيق هدفه، وتشير مصادر السيرة إلى أن السبب الحقيقى لاحتفاء النجاشىبالمهاجرين هو اعتناقه الديانة المسيحية ، وأنه سمع منها ما يطابق ما كان يدعو إليه المسيح عليه السلام . ولما حاولت قريش الوقيعة بين النجاشى والمسلمين وأرسلت عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة ليغريا النجاشى بطردهم من بلده، رفض النجاشى أن يسمع كلامهم ، ثم سألهم أن يقرأوا عليه مما أنزل على رسول الله ﷺ فقرأ عليه – جعفر بن أبى طالب – صدر سورة مريم [2] ، عندئذ بكى النجاشى والأساقفة ... ثم قال لعمرو وصاحبه انطلقا ، فلا والله لا أسلمهم إليكما ولا يكادون [3] .

---

(1) إسرائيل ولفنسون : تاريخ اليهود فى بلاد العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام ، ص 99 .

(2) إسرائيل ولفنسون : المرجع السابق : ، ص 99 .

(3) ابن هشام : السيرة النبوية ، ص 350 .

يعتمد المؤرخ على المستشرقين فى حديثه عن هجرة المسلمين إلى الحبشة فيذكر أن المستشرقين يذكرون أنه لم يأت فى هذا الدور [يعنى الهجرة إلى الحبشة] أقل ذكر للمسيح أو لتعاليم الإنجيل وأن أول إشارة للسيد المسيح لم تكن إلا فى السنة العاشرة من مبعث الرسول ﷺ] [1] . وقد جانب المؤلف الصواب ؛ لأن هجرة المسلمين إلى الحبشة كانت سنة خمس من بعثة الرسول ﷺ [2] ، ثم كانت الهجرة الثانية إلى الحبشة فى أواخر السنة نفسها – فلابد أن يكون القرآن الكريم قد تناول قصة عيسى (عليه السلام) قبل هجرة المهاجرين إلى الحبشة – وبذلك يتبين خطأ المؤلف باعتماده على المستشرقين ، وغالبيتهم يعميهم التعصب الدينى والعنصرى عن الحقائق ، كما أن الكثيرين منهم كتبوا عن الإسلام ، ولم يعرفوه إلا من خلال الكتب والمصنفات ، وقد يكون بعضها مما لا يرتفع إلى طبقة الأصول الأولى للإسلام] [3] بالإضافة إلى أن معظم هؤلاء المستشرقين ليس لديهم إلمام كاف باللغة العربية .

فكر الرسول ﷺ فى التحول عن مكة وبايع نفر من قبائل الأوس والخزرج الرسول ﷺ فى بيعتا العقبة الأولى [4] والثانية[5] . أما اليهود فقد كان

---

(1) إسرائيل ولفنسون : تاريخ اليهود فى بلاد العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام ، ص 96 .

(2) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، القاهرة 1968 ، جـ 1 ص 204 .

(3) د. محمد عبد الغنى حسن : الإسلام بين الإنصاف والجحود ، ص 10 .

(4) ابن هشام : السيرة النبوية جـ 2 ص 38 ، 39 ؛ ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، بيروت 1965 م ، جـ 2 ص 36 .

(5) السمهودى : وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ، القاهرة ، مطبعة الآداب 1326هـ ، جـ1 ص 155 .

الرسول ﷺ يعتقد أنهم سيدخلون فى ذمته حين يظهر فى يثرب ، لأن الرسول ﷺ كان يرمى إلى توحيد بطون يثرب جميعاً وجعلهم أمة واحدة [1] .

يتحدث المؤلف فى الباب السادس : عن هجرة الرسول ﷺ إلى يثرب وإجلائه بنى قينقاع والنضير عنها .

لما استقر الرسول فى يثرب ، وضع نظاماً للحياة العامة فيها ، يكون أساساً لتحقيق الوحدة بين أهاليها ، فكتب كتاباً بين المهاجرين والأنصار ، وادع فيه اليهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم ، وشرط لهم واشترط عليهم[2] .

بدأ تاريخ العلاقات بين المسلمين واليهود فى المدينة بوثيقة الموادعة ، والتى كانت أساساً للتعايش السلمى الذى كان الرسول ﷺ مؤمناً به أيضاً مع أهل الكتاب ممن لم يؤمن برسالته،وفى هذا الإطار تمت الموادعة بين اليهود وبين المسلمين [3]. أما عن قيمة تلك الصحيفة فيذكر المؤلف أنها كانت ودية ولم ترق إلى العهد المكتوب وحجته فى ذلك أن ابن إسحاق أول من أورد تلك الرسائل ، لم يتحدث عن معاهدات مخطوطة وإنما يكتفى بالرواية عن السابقين

---

(1) إسرائيل ولفنسون : المرجع السابق ، ص 105 ، 106 .

(2) إسرائيل ولفنسون : تاريخ اليهود فى بلاد العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام ، ص 105 ، 106 ؛ انظر نص المعاهدة : محمد حميد الله الحيدر آبادى ، مجموعة الوثائق السياسية فى العهد النبوى والخلافة الراشدة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1941م ، ص 1–7.

(3) محمد رفعت زنجير : جذور العلاقة التاريخية بين الإسلام واليهودية ، سلسلة دراسات حضارية واستراتيجية ، اقرأ للطباعة والنشر والتوزيع ، دار التوفيق للطباعة والنشر والتوزيع ، سوريا دمشق 2000 م ص 37 .

[1] ، ولكن مكسيم رودينسون Maxime Rodinson يعتبر الوثيقة صحيحة تاريخياً لأنها تحتوى على بنود معارضة لوجهات النظرالخاصة بأصل الدولة الإسلامية والتى ألحقت فيما بعد ... [2] . ويرى ولفنسون أن السبب فى عقد الصحيفة وغيرها ، خوف الرسول ﷺ على حياته وحياة أنصاره ، وذلك لأهمية دور اليهود فى يثرب ، بالإضافة إلى إيجاد نظام جديد لتوحيد العناصر البثربية [3] .

رغم أن الرسول ﷺ كان يرغب فى إيمان اليهود ونصرتهم له إلا أنهم كانوا أقل ترحيباً بالإسلام ... [4] . ويتفق بعض مؤرخى اليهود على أن الرسول ﷺ قد استطاع بحكمته أن ينشر الإسلام ويعقد الإخوة بين سكان المدينة ، ولم يضطهد اليهود ، وأن القرآن الذى نزل بالمدينة [الآيات المدنية] قد تكلم باحترام عن اليهود وعن أنبياء بنى إسرائيل ، كما أباح للمسلمين أكل طعامهم ، ومشاركتهم فى الأمور المدنية [5] ، كما لم يفرض الرسول ﷺ الجزية على

---

(1) إسرائيل ولفنسون : تاريخ اليهود فى بلاد العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام ، ص 112 .

(2) مكسيم – رودينسون : محمد (بين الحقيقة والافتراء) ، ترجمة د. محمد أبو ليلة ، دار النشر للجامعات، القاهرة 1999 ، ص 153 .

(3) إسرائيل ولفنسون : تاريخ اليهود فى بلاد العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام ، ص 116 .

(4) واشنجتون إرفنج : حياة محمد ، ترجمة وتعليق د. على الخربوطلى ، دار المعارف بمصر 1960 م ص 13 .

(5) إسرائيل ولفنسون : المرجع السابق ، 122 ؛ ايتين دينييه : محمد رسول الله ، ترجمة د. عبد الحليم محمود ، دار المعارف بمصر 1979 م ص 190 ، 191 ، رودينسون : المرجع السابق ، ص 152 ، 159 .

اليهود ، ولم يعتبرهم أهل ذمة والجواب كما ذكر أبو عبيد [1] أن الرسول ﷺ قد راعى تاريخ اليهود ووضعهم فى يثرب مؤثراً التعايش السلمى والحرية الدينية ، كما لم يتدخل لفرض قوانين العقوبات الإسلامية عليهم ، لأنهم يطبقون ما لديهم من شرائع[2] .

دعوة الرسول ﷺ اليهود إلى الإسلام وانقلاب الموقف :

تبين من استقراء واقع المدينة بعد الهجرة النبوية ، أن الرسول ﷺ كان حريصاً على أن يسود السلام والأمن ربوع يثرب ، لكل سكانها بما فيهم اليهود ، وكان حريصاً أيضاً على إقامة النظام الذى يكفل الأسس المنطقية للتعامل بين الجميع وفق مقتضيات العدل والمساواة ، وكان يود لو أن اليهود كانوا فى طليعة المؤمنين به ، لذلك لم يتوان عن دعوتهم إلى الهدى ، بيد أنهم أعلنوا رفضهم للدعوة ، وهذا من حقهم وفق التصور الإسلامى لقضية حرية الأديان [لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ] [3] ولكنهم تجاوزوا ذلك إلى التآمر والدسائس وتحريض المشركين على المسلمين ونكث العهود ، وإعلان الحرب على الدعوة ، فكان لابد من التصدى لهم[4] .

يؤكد المؤلف أن جوهر الخلاف الذى وقع بين اليهود والمسلمين والذى أدى إلى انقلاب الموقف والتحول السريع فى العلاقة بين الرسول ﷺ وبين اليهود فى يثرب والذى بدأ بالمناقشة الدينية التى انتقلت إلى مخاصمة كلامية

---

(1) كتاب الأموال ، المطبعة التجارية بالقاهرة 1353 هـ ، ط 2 ، ص 29 .

(2) محمد رفعت زنجير : جذور العلاقة التاريخية بين الإسلام واليهودية ، سوريا ، دار التوفيق للطباعة والنشر 2000 م ، ص 29 .

(3) سورة البقرة : آية 256 .

(4) محمد رفعت زنجير : جذور العلاقة التاريخية بين الإسلام واليهودية ، سوريا ، دار التوفيق للطباعة والنشر 2000 م ، ص 37 .

ثم ظهرت العداوة ، تلك النقطة الجوهرية تتعلق بطبيعة العقيدة اليهودية وعلاقتها بالعقائد الأخرى ، ويفسِّر المؤلف هذه النقاط الخلافية فيذكر أن تكليف اليهود الاعتراف بالرسالة الجديدة هو أساس النزاع لأن العقلية اليهودية لا تلين أمام شئ يزحزحها عن دينها وتأبى أن تعترف بأن يوجد نبى من غير بنى إسرائيل بل يعتقدون عقيدة راسخة أنه بعد أن ختمت صحف التوراة وكتب العهد القديم قد انقضى عهد بعث الرسل وظهور الأنبياء سواء كانوا من بنى إسرائيل أو من غيرهم] [1] . يحمل كلام المؤلف العديد من المغالطات الواضحة ؛ فلم يُكْرِه الرسول ﷺ الناس على الدخول فى الإسلام " فقد حمل الإسلام طابع الدين الذى يقوم على الدعوة ويسعى لجذب قلوب الناس لتحويلهم إليه وحثهم على الدخول فى زمرة المؤمنين عن طريق الإقناع ... " [2] ، وكان اليهود يؤمنون ببعثة رسول قد أطل زمانه ، وذلك قبل بعثة الرسول ﷺ بقليل، وقد أخبرالقرآن الكريم بذلك وأعاب على اليهود عدم إيمانهم به، قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[3] . ويقول جلّ شأنه : ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الكَافِرِينَ ﴾[4] . وتدل الروايات على أن اليهود كانوا يبشرون ببعثة محمد ﷺ غير أنهم كانوا يعتقدون أنه سيكون من ولد

---

(1) إسرائيل ولفنسون : تاريخ اليهود فى بلاد العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام ، ص 122 ، 123 .

(2) جولدزيهر : الدعوة إلى الإسلام ، ترجمة د. حسن إبراهيم حسن ، د. عبد المجيد عابدين ، الطبعة الثانية ، القاهرة 1957 ص 62 .

(3) سورة البقرة : آية 146 .

(4) سورة البقرة : آية 89 .

إسحاق ، فلما بعث من ولد إسماعيل كفروا به ... ومن هنا جاء اعتقادهم " بأن زمن الأنبياء وبعثتهم قد انقضى .. " [1] .

أثار الموقف السلبى للعقيدة اليهودية وعلاقتها بالعقائد الأخرى اهتمام المؤلفين المهتمين بالدراسات اليهودية ، فقاموا بتحليل هذا الموقف من المنظور العقائدى وانعكاساته فأرجعه البعض " إلى خصوصية اليهودية كديانة وكونها ديانة خاصة لجماعة خاصة ، لها إلهها الخاص بها ، وأصبح هذا العهد عهداً قومياً يربط الإله بالجماعة ، والجماعة بالإله ، وتطور عن عقيدة العهد عقيدة الاختيار الإلهى واعتبار العهد جامعاً لليهود مانعاً لغيرهم " [2] .

وقد أدى هذا التفسير العنصرى لمفاهيم الاختيار الإلهى والعهد والخلاص إلى فرض العزلة على اليهود ، وولد عندهم الشعور بالتميز الدينى الذى تحول إلى تميز عرقى ثم تطور إلى الموقف السلبى تجاه الدين الإسلامى ، وسرعان ما انعكس إلى نوع من العناد الدينى الذى لا يقوم على أساس عقلانى " [3] ويمكننا تفسير هذا الموقف من خلال تطور موقف اليهود من الرسول ﷺ .

بدأت علاقة اليهود بالرسول ﷺ بموقف غير محدد تجاه الإسلام ، وعلى إثر دعوة الرسول ﷺ أسلم نفر من اليهود مثل مخيريق وعبد الله بن سلام متأثرين بما فى الإسلام من حجج مستقيمة [4] ثم انقلبوا إلى مناصبة الرسول

---

(1) ابن هشام : السيرة النبوية ، جـ 1 ص 231 .

(2) د. عبد الوهاب المسيرى : موسوعة اليهودية ص 273 ؛ د. محمد خليفة حسن : البعد الدينى للصراع العربى الإسرائيلى ، ص 12

(3) د. محمد خليفة حسن : علاقة الإسلام باليهودية ، ص 17 .

(4) ايتين دينييه : محمد رسول الله ، ترجمة د. عبد الحليم محمود ، محمد عبد الحليم ، دار المعارف بمصر 1979 م ، ص 190 .

ﷺ العداء ، رغم علمهم من (التوراة) بأن نبياً خاتماً للأنبياء سوف يبعث ، ورفضوا الاعتراف بوجود المسلمين بينهم فى المدينة ، وانحسر نفوذهم الدينى والاجتماعى بوجود الإسلام والمسلمين . كما أنهم كانوا يودون أن يكون النبى ﷺ منهم ، تمثل عداء اليهود فى أحبارهم الذين عرفوا التوراة وقرأوا فيها عن صفة الرسول ﷺ وعن بعثه ويوضح ابن هشام نقلاً عن ابن إسحق ؛ حقيقة ما آلت إليه الأحداث فيذكر [أن أحبار اليهود ، ناصبت العداوة لرسول الله ﷺ بغياً وحسداً وضغناً ، ولما خصّ الله تعالى به العرب من أخذه رسوله منهم ، وإنصاف إليهم رجال من الأوس والخزرج ممن كان عسى على جاهليته فكانوا أهل نفاق على دين آبائهم من الشرك ... فظهروا بالإسلام واتخذوه جنة من القتل ونافقوا فى السر وكان هواهم مع يهود ...] [1] .يتضح من النص السابق ، اختلاف جماعات اليهود ومواليهم إزاء الدعوة الإسلامية ، فكان منهم من أعلنوا الخلاف ومنهم من نافق وهناك من أسلم .

بدأ النزاع بين النبى ﷺ واليهود بالمناقشة الدينية المتبادلة بين الطرفين [2] . وكان الرسول ﷺ رحب الصدر معهم ، وبدأ معهم حواراً فكرياً بالعقل والكلمة عله يستطيع أن يؤثر فيهم وأن يكسب تأييدهم دون جدوى ، كما أثار أحبار اليهود قضايا جدلية تمس جوهر العقيدة الإسلامية [3] . ولذلك ظهرت العداوة واشتد النفور ونزل كثير من الآيات فى ذلك الحين متضمنة الطعن المر فى اليهود [4] . ويذكر المؤلف أن كل هذه الأمور لم تضعف من عزيمة اليهود ،

---

(1) ابن هشام : السيرة النبوية ، جـ 1 ص 511 .

(2) ابن هشام : المصدر السابق ، جـ 1 ص 511 .

(3) د. زبيدة عطا : اليهود فى العالم العربى جـ 1 ص 66 .

(4) إسرائيل ولفنسون: تاريخ اليهود فى بلاد العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام، ص124 ، 125.

فاستمروا على مناقشة الرسول ومخاصمة الأنصار إلى أن حذر التنزيل المسلمين من المجادلة الدينية[1] .

شعر الرسول ﷺ أنه لم يوفق فى تأليف القلوب بين العرب واليهود وإيجاد أمة مؤلفة من جميع العناصر اليثربية ، فتلبد الجو بالغيوم ، وجعل كل فريق يتواصى بالحذر من الفريق الآخر، وظهرت تغييرات دينية وتحولت قبلة الصلاة إلى الكعبة بعد أن كانت متجهة إلى بيت المقدس . وظهرت شخصيات لعبت دوراً كبيراً فى العلاقة بين الرسول ﷺ وبين اليهود . منهم من أخذ جانب الرسول ﷺ مثل مخيريق ومنهم من لم تكن له وجهة واضحة لأى من الطرفين (الرسول واليهود) وهم المنافقون – وكان عبد الله بن أُبى من زعماء هؤلاء المنافقين ؛ وترجع خطورة هؤلاء المنافقين إلى أن اليهود كانوا يبعثون أسئلتهم للنبى ﷺ عن طريقهم[2] .

فى خِضّم تلك الأحداث المثارة بين اليهود والرسول ﷺ . كان للمؤلف رأى آخر ، حيث ينظر إلى سير الحوادث بنظرة رومانسية غير واقعية فيذكر [أن اليهود كانوا يفضلون السلام والسكينة على المشاحنات والمخاصمات لأنهما أساس النجاح فى الأعمال التجارية والصناعية] [3].

يتضح مما ذكره المؤلف أنه كان ينظر إلى كل حدث من أحداث التاريخ وفقاً لمتطلبات الحدث ، فهو فى حديثه عن تفضيل اليهود للسلام مع الرسول ﷺ رغم عدم اتساق الرأى مع سير الحوادث التاريخية ، ربما أراد أن يبرئ

---

(1) إسرائيل ولفنسون : المرجع السابق ، ص 125 .

(2) د. محمد عطا يوسف : علاقة المنافقين باليهود فى ضوء القرآن الكريم ، مجلة الدراسات الشرقية ، العدد (19) ، يوليو 1967 ، ص 264 ، نقلاً عن الشيخ محمد أبو زهرة : خاتم النبيين ، مؤتمر السيرة والسنة ، قطر 1400 هـ .

(3) إسرائيل ولفنسون: تاريخ اليهود فى بلاد العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام، ص127 .

ساحة اليهود من المشاكل التى يمكن أن تنجم من جراء سياستهم العدائية مع الرسول ﷺ مدفوعين بمصالحهم المادية ، لذلك نظر إلى التاريخ منن خلال تلك الرؤية المثالية متجاهلاً تعين الوقائع التاريخية ، تلك النظرة تبدو من متطلبات الدولة المثالية التى يتطلب نجاحها انتشار السلام ونبذ الحروب وإلغائها وتسخير كل خبرة المواطنين وذكائهم لضبط النظام " [1] . وإذا كان المؤلف قد تأثر بنظرية ما إلا أن جُل اهتمامه تركز فى الشعب اليهودى وحده وتمحور حوله ، وهذه الرؤية الأحادية أصبحت من خصائص الفكر اليهودى [2] .

تشير الأحداث التى أدت إلى تطور العلاقة بين الرسول ﷺ واليهود ، إلى حدوث صراع كان دينياً فى أساسه ، حيث بدأ بالمناقشة الدينية حتى انتهت إلى المخاصمة والنزاع [3] . بينما ترى د. زبيدة عطا أن الصراع كان قائماً على خلاف سياسى فى جوهره ، ومرتبط بعدم التزام اليهود بعهودهم مع الرسول ﷺ [4] .

بعد أن طال الجدل بين اليهود والرسول ﷺ ، تداعت الأحداث ، وتنزلت الآيات البينات تنهى عن مباطنة اليهود ، يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن

---

(1) وليام بارنز : الكتابة التاريخية فى العصور الوسطى ص 267 ، 279 .

(2) د. عبد الوهاب المسيرى : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ، ص 126 ، 127.

(3) ابن هشام : السيرة النبوية، جـ 1 ص 511 ؛ إسرائيل ولفنسون: تاريخ اليهود فى بلاد العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام ، ص 123.

(4) د. زبيدة عطا : اليهود فى العالم العربى ، ص 66 .

كُنتُمْ تَعْقِلُونَ * هَا أَنتُمْ أُوْلاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [1] . ويذكر المؤلف أن اليهود كانوا يرجون ان يضجر الرسول ﷺ من عنادهم وحملهم على قبول دين جديد فيكتفى بنشر دعوته الدينية بين القبائل العربية .

موقعة بدر الكبرى (انجلاء الموقف) :

يجعل المؤلف من نصر المسلمين فى بدر [فى شهر رمضان فى السنة الثانية من الهجرة] [2] حداً فاصلاً يفرق بين المسلمين واليهود تمهيداً للتخلص منهم، لم يشر المؤلف إلى الأسباب التى أدت إلى غضب الرسول ﷺ من اليهود ، بل ينكرها ويحاول تبريرها معتمداً على رأى المستشرقين [3] ويقدم النتائج على الأسباب مستخدماً ألفاظاً تبعده عن الحيدة التاريخية ، فيذكر [أن الظروف أصبحت ملائمة للنبى) للدخول مع اليهود فى حرب دموية ، ويضيف ، أن الأنصار جمعوا على أحد أمرين : أن يندمج اليهود مع العرب بواسطة اعتناق الإسلام ، أو يحاربونهم حتى يجلوهم ...] [4] .

وبداية كان الرسول ﷺ يرغب بإيمان اليهود ونصرتهم له ، ولتوثيق العلاقة معهم ، كان يقيم معهم علاقات إنسانية من تبادل اقتصادى ونحوه [5]

---

(1) سورة آل عمران : الآيات 118 ، 119 .

(2) اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، دار صادر ، بيروت 1960 م جـ 2 ص 34 ؛ المقريزى : امتاع الأسماع ، ج، 1 ص 99 ، 101 .

(3) إسرائيل ولفنسون: تاريخ اليهود فى بلاد العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام، ص136 .

(4) إسرائيل ولفنسون : المرجع السابق ، ص 127 .

(5) محمد رفعت زنجير : قراءة موضوعية فى جذور العلاقة التاريخية بين الإسلام واليهودية ، ص 30 .

كما أنه سمح لأتباعه بالرواية عن علماء بنى إسرائيل، ففى الحديث [بلّغوا عنى ولو آية، وحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج] [1] وبذلك لم يكن هناك موقف عدائى مسبق بين الإسلام واليهودية ، وإنما تغيرت العلاقة بين الرسول ﷺ واليهود للتشكيك فيه كنبى وعدم التصديق برسالته ، وقد شكل اليهود مع المنافقين من الأوس والخزرج حلفاً ، وكان أحبارهم " يتعنتون الرسول ﷺ ، ويأتونه باللبس ليلبسوا الحق بالباطل " [2] .

لم تثمر معاملة الرسول ﷺ الطيبة لليهود ، فقد ظلوا غير مؤمنين بالإسلام كما عاملوا الرسول ﷺ والمسلمين بجفاء ، ونظمت أسماء بنت مروان الشاعرة اليهودية كثيراً من القصائد فى هجاء الرسول ﷺ كما أنشد الشاعر اليهودى كعب ابن الأشرف عدة قصائد فى مكة بعد موقعة بدر يحث فيها القرشيين على الأخذ بثأر قتلاهم فى تلك المعركة ، مما أثار غضب الرسول [3] .

نتيجة لمواقف اليهود السلبية من الرسول ﷺ والمسلمين ، أصبحت أهم المشكلات التى واجهها الرسول ﷺ تحديد موقفه من اليهود ، وكانوا يؤلفون فى المدينة ثلاث قبائل قوية [بنو قينقاع ، بنو النضير ، ثم بنو قريظة] ولم يكن اليهود فى الحجاز متحدين، وليس بينهم رابطة سياسية تجمعهم ، بل كانوا قبائل متفرقة[4].

---

(1) محمد رفعت زنجير : المرجع السابق ، ص 30 عن رواية البخارى عن عبد الله بن عمرو؛ التبريزى : مشكاة المصابيح ، بتحقيق الألبانى ، جـ 1 ص 7 .

(2) ابن هشام : السيرة النبوية ، جـ 2 ص 255 .

(3) ابن هشام : السيرة النبوية ، جـ 2 ص 137 ؛ واشنجتون إرفنج : حياة محمد ، ص 157.

(4) واشنجتون إرفنج : المرجع السابق ، ص 157.

كانت قبيلة بنى قينقاع اليهودية أول من ظاهر المسلمين العداء . فلما قدم الرسول ﷺ من بدر أظهر بنو قينقاع البغى والحسد ونقضوا العهد الذى عقده معهم[1] " وبعد مرور بضعة أيام من موقعة بدر ، جاء الرسول ﷺ وجمع بنو قينقاع فى سوقهم وقال : يا معشر اليهود أسلموا قبل أن يوقع الله بكم مثل وقعة قريش ، فوالله إنكم لتعلمون أنى رسول الله ، تجدون ذلك فى كتابكم وعهد الله إليكم، فقالوا : يا محمد لا يغرنك من لقيت ، إنك قهرت قوماً أعماراً وإنا والله أصحاب الحرب ولئن قاتلتنا لتعلمن أنك لم تقاتل مثلنا] [2] . فحاربهم الرسول ﷺ حتى تم إجلاؤهم فى السنة الثانية للهجرة بعد غزوة بدر ، وقبل أحد – ويذكر المؤلف [أنه بعد إجلاء بنو قينقاع امتنع اليهود عن المجادلة الدينية ، ودخلت هيبة المسلمين فى قلوب البطون العربية التى لم تكن قد دخلت الإسلام ، فانفسح المجال أمام النبى لنشر دعوته[3] .

أما بنو النضير فقد توترت العلاقة بينهم وبين الرسول ﷺ بعد وقعة أحد وبعد أن حلت الهزيمة بالمسلمين ، ويذكر المؤلف أن السبب المباشر فى حرب الرسول ﷺ لبنى النضير هو عدم اشتراكهم فى غزوة أحد [4] ، بينما تؤكد

---

(1) ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير ، جـ 1 ص 68 ؛ المقريزى : إمتاع الأسماع ، جـ 1 ص 104 .

(2) ابن هشام : السيرة النبوية، جـ 2 ص 426 ؛ المقريزى: إمتاع الأسماع ، جـ 1 ص 104، هناك رواية أخرى لسبب الحرب فحواها ؛ إساءة نفر من اليهود إلى امرأة مسلمة فى سوق بنى قينقاع حيث أهانها صائغ يهودى فقتله أحد المسلمين ، فغضب المسلمون ، ووقع الشر بينهم وبين بنى قينقاع .

(3) إسرائيل ولفنسون: تاريخ اليهود فى بلاد العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام، ص131 .

(4) ابن هشام : السيرة النبوية ، جـ 2 ص 346– 412 ؛ المقريزى : إمتاع الأسماع ، جـ 1 ص 104 ، إسرائيل ولفنسون: تاريخ اليهود فى بلاد العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام، ص 131 ، 133.

روايات المؤرخين القدامى [أن قتل كعب بن الأشرف فى فى ربيع الأول من السنة الرابعة للهجرة – بعد يوم أُحد –كان بمثابة إعلان الحرب على بنى النضير لأنه كان زعيماً من زعمائهم] [1] . هناك سبب آخر للحرب وهو تآمرهم على قتل الرسول ﷺ تحت إحدى قلاعهم وذلك حين ذهب إليهم يستعينهم فى دية قتيلين من بنى عامر قتلهما عمرو بن أمية الضمرى وذلك للحوار الذى كان رسول الله ﷺ عقده لهما ﷺ [2] وينفى المؤلف تلك الرواية كسبب لحرب بنى النضير . أرسل الرسول ﷺ إلى بنى النضير يأمرهم بالحلاء عن بلده [3] ، على ان لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة (السلاح) فخرجوا بعد أن هدموا البيوت عن نجاف بابهم فحملوها على ظهر البعير وانطلقوا بها ، ونزل أكثرهم بخيبر وذهبت طائفة منهم إلى الشام [4] ، وكان إجلاؤهم سنة أربع هجرية .

لما نزل أشراف بنى النضير فى خيبر أخذوا يفكرون فى الثأر من المسلمين، فعزم نفر منهم [سلام بن أبى الحقيق وحِيّى بن أخطب عزموا أن يحزِّبوا الأحزاب على المسلمين وتأليب العرب ودعوا قريشاً لحرب النبى ﷺ ، ولتحقيق أطماعهم الشخصية والثأر من المسلمين واستغلال المواقف الخلافية لمصلحتهم ؛ أيدوا القرشيين فى عقيدتهم الوثنية (ضد الإسلام) [5] ، ثم قاموا بتأليب العرب ضد النبى ﷺ فوعدوا عرب البادية من غطفان بأن يعطوهم ثمار

---

(1) ابن هشام : السيرة النبوية ، جـ 2 ص 337– 342 ؛ اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، جـ 2 ص 49 . كان سبب قتل كعب بن الأشرف أشعاره التى كانت تحث القرشيين على الأخذ بثأر قتلاهم فى بدر ، والتشيب بنساء المسلمين ، مما أثار الرسول ﷺ .

(2) ابن هشام: السيرة النبوية، جـ 2 ص 151 ؛ المقريزى : إمتاع الأسماع ، جـ 1 ص 178.

(3) اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، جـ 2 ص 37 ؛ البلاذرى : فتوح البلدان ، ص 31 .

(4) اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، جـ 2 ص 37 ؛ البلاذرى : فتوح البلدان ، ص 31 .

(5) إسرائيل ولفنسون: تاريخ اليهود فى بلاد العرب فىالجاهلية وصدر الإسلام، ص 142– 146.

سنة كاملة من ثمار مزارع وحدائق خيبر [1] إذا تم لهم النصر – وأخذ حيّبن أحطب زعيم بنى النضير يؤثر فى أبناء جلدته من بنى قريظة ويحرضهم على نقض المعاهدة التى كانت بين كعب بن أسد والرسول ﷺ ، وبعد تردد وافق الزعيم القرظى على الدخول معهم فى الحرب ضد الرسول ﷺ [2] .

هكذا اجتمعت الأحزاب ضد الرسول ﷺ ، كل يحدوه المطامع ، وأدرك الرسول ﷺ صعوبة مهمته " فجعل بينه وبين هؤلاء المناوئين خندقاً [3] ، وكان عليه أن يصد القرشيين وحلفائهم عن عبور الخندق ، وكان عليه فى الوقت نفسه أن يعمل على تجنب هجوم يهود بنى قريظة (الذين نقضوا عهدهم مع الرسول ﷺ أثناء الحصار) وكذلك على حفظ الأمن داخل المدينة [4] .

تطورت الأحداث التى كانت فى غير صالح الأحزاب ، كاختلاف الأهواء والأهداف ، وطول فترة الحصار ، بالإضافة إلى عوامل طبيعية ، وانتهت الأحداث بانصراف الأحزاب[5] .

بعد أحداث الخندق – والتى انتهت بانتصار المسلمين ، رأى الرسول ﷺ دعوة المسلمين لمحاربة بنى قريظة – التى كادت تكون سبباً فى إلحاق الهزيمة بالمسلمين بمظاهرتها قريش ، فقد نقض يهود بنو قريظة عهدهم مع الرسول ﷺ [6] عند حصار الأحزاب له ، فعرّضوا البلاد للأعداء ، فحاصرهم الرسول

---

(1) الواقدى : المغازى ، ص 191 .

(2) ابن هشام : السيرة النبوية ، جـ 2 ص 258 .

(3) ابن هشام : السيرة النبوية ، جـ 2 ص 258 .

(4) واشنجتون إرفنج : حياة محمد فى المدينة، ترجمة وتعليق د. على حسن الخربوطلى، ص188 .

(5) ابن هشام : السيرة النبوية ، جـ 3 ص 74 – 258 ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ 3 ص 112 ؛ المقريزى : إمتاع الأسماع ، ص 217 – 239 ، 246 .

(6) ابن هشام : السيرة النبوية ، جـ 3 ص 92 ، 255 ، 256 ؛ المقريزى : إمتاع الأسماع ، ص 244 ، 246 .

ﷺ ثم نزلوا على حكمه ، فحكّم فيهم سعد بن معاذ الأوسى ، وكانوا مواليه ، ولقى هذا الاختيار قبولاً منهم ، وقضى سعد بن معاذ بأن تقتل رجالهم وتسبى النساء والذرية وتقسم أموالهم بين المسلمين[1] .

وكانت غزوة بنى قريظة سنة خمس هجرية ، وكان من أبرز نتائجها القضاء على بطون اليهود فى يثرب [2] ، وتم للنبى السيطرة على المدينة وأصبح يأمن فيها على نفسه بعد أن تخلص من العناصر المناوئة .

---

(1) ابن هشام : السيرة النبوية ، جـ 3 ص 92 ، 255 ، 256 ؛ المقريزى : إمتاع الأسماع ، ص 244 ، 246 .

(2) إسرائيل ولفنسون :تاريخ اليهود فى بلاد العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام ، ص 152 .